ج– ألجرداس جوليان غريماس :

حصل التطور البارز في الدراسات السردية بوصفها مبحثا مستقلا عن الأساطير و الحكايات الخرافية على يد الناقد الفرنسي "غريماس" عندما اعتبر العامل أصغر وحدة بنوية في الحكي. و قد متح مفاصل نظريته من مصادر كثيرة أهمها :**الأنثروبولوجيا البنوية ، و الشكلانية الروسية ،و نظرية العوامل ، و فلسفة العمل ، و النحو التحويلي التوليدي و مصادر أخرى.وقد استثمر هذا الناقد كل هذه المصادر ليؤسس نظريته عن الخطاب السردي** . و هو يعد أشهر من تأثر ببروب في نظريته عن نحو السرد ، فهو أكثر الباحثين في مجال السيميائيات السردية استلهاما لدراسات "بروب" ،لذلك اعتبر وريثه الشرعي، و ذهب جل الدارسين إلى استحالة فهم الأول دون الثاني ، بل و لا يمكن فهم مشروع "غريماس" إلا في ظل الانتقادات التي وجهها لبروب ،فهي أي هذه الانتقادات تعد ركيزة عمله و الأساس الذي شكل من خلاله مشروعه الذي قدمه في مجموعة كتبه: الدلالية البنوية Sémantique Structurale ، الصادر سنة 1966 ، و في المعنى . Du Sens المنشور سنة 1970 و Du Sens2 الذي أصدره سنة 1982 . و في معجمه المعقلن الذي ألفه رفقق صديقة جوزيف كورتيس و الذي عنوانه :

théorie du langage. sémiotique ; dictionnaire raisonnée de la

لم يكن "فلادمير بروب" سيميائيا و لكن أثر عمله سابق الذكر تأثيرا كبيرا في تطور السيميائيات السردية،لذا اهتمت به الدراسات الأمريكية و الأوروبية فقد لقي استحسانا لأنه أقصى و لو مرحليا ما يسمى بالدراسات التاريخية فحسبه يجب دراسة النص دراسة بنيوية ثم تاريخية لذلك أهمل بروب كل ما ليس له علاقة بالفعل مثل أوصاف الشخصيات ، و أماكنها ،و أسمائها فالذي يهمه ماذا تفعل أي وظيفتها .و بالمثل فقد أقصت السيميائيات السردية فرعا من فروع السيميائيات العامة ، و هو علم السياق ، و ذلك راجع إلى المحيط الثقافي الذي نشأت فيه (ويتمثل في تخليص اللسانيات من المنهج التاريخي) فقد نمت في ظل هيمنة المنهج البنوي على الدراسات الأدبية ، و ذلك بعد أن تخلصت اللسانيات من المنهج التاريخي فأصبحت بعدها العلم النموذجي لكل العلوم الإنسانية ، و لقد كان من الطبيعي أن يلاقي كتاب "فلاديمير بروب "كل هذه الشهرة لأنه كان يؤيد نوع الدراسة في هذه الفترة.

جعل هذا اللقاء المعرفي "غريماس" يهتم بنموذج "بروب" عن الوظائف في الحكاية الخرافية–كما ذكرنا – ما دفعه للقيام بعملية تشريح بنيات النصوص السردية ، و ذلك بالتوقف عند الحالات و التحولات التي تطبع الشخصيات الحكائية من خلال أدوارها التي تؤديها من أجل إجراء التحويل في البرامج السردية .و لكي نفهم طبيعة المقاربة الغريماسية المنفتحة على نموذج "بروب" رأيت أنه من الضروري التوقف عند مقاله الموسوم ب"المكاسب و المشاريع" والذي بنى فيه أهم مفاصل نظريته عن السرد و التي طورها فيما بعد.

لاحظ "غريماس" في هذا المقال أن:

1- يخلط "بروب" بين الأفعال و الحالات ، يقول : «إذا كان رحيل البطل يبدو كوظيفة تتطابق مع نوع النشاط فإن النقص بعيدا عن يكون فعلا فإنه يعين حالة و لا يمكن اعتباره وظيفة» [1].

1- إذا كان مفهوم القصة عند بروب يقوم على تتابع الأفعال ، فإنه يمكن أن يقوم أيضا على مبدأ التقابل و التضاد ،يقول غريماس : « وبالفعل فإن الملفوظات السردية يمكن مزاوجتها ليس بعل التجاور النصي و لكن من حيث كونها متباعدة فهذا الملفوظ يستدعي بل يذكر بنقيضه الذي سبق طرحه لوحدات سردية جديدة متقطعة بالنسبة لنسيج الحكاية و لكنها متكونة من العلاقات الايجابية التي تقرب محمولاتها /الوظيفة تبدو كأزواج مثل :

رحيل ⟵ عودة

وجود نقص ⟵ القضاء على النقص

إقامة محظور ⟵ خرق المحظور

ذلك أن مجرد تتابع الملفوظات السردية لا يمثل معايير كافية للكشف عن نظام الحكاية » [2].

3-استبدل غريماس مصطلح الوظيفة بالملفوظ السردي ، يقول: « بعد تمحيصنا التحليل و الذي سمح لنا باستبدال مقولة الوظيفة الفضفاضة بالصيغة التقنينية للملفوظ السردي » [3].

يصبح الملفوظ السردي= وظيفة + شخصية/عامل.

4-لاحظ "غريماس" أن هناك ثلاثة تجارب تتكرر في مجموع الوظائف ، و هي :[4]

-التجربة التأهيلية.

-التجربة الأساسية.

-التجربة التمجيدية .

5- أهم عنصر في القصة هو المواجهة : لاحظ "غريماس" أن ترسيمة "بروب" الممثلة بإحدى و ثلاثين وظيفة تحتوي قصتين :القصة التي تنجزها ذات البطل ، و قصة الذات المضادة يقول : « إن الإقرار بهذه الازدواج يفرض علينا اعتبار الترسيمة السردية مكونة من مسارين سرديين ،هذان المساران يخصان الذاتين (الذات و الذات المضادة) المتحركة داخل الحكاية، و هذا المساران يمكن أن يتما بشكل منفصل. يمكن للأول أن يسيطر في بداية القصة في حين لا تتم السيطرة للثاني إلا في نهاية السرد لكن من الضروري أن يلتقيا في لحظة ما لكي تتم المواجهة بين

---

[1] - أ.ج .غريماس ،السيميائيات السردية (المكاسب و المشاريع) ،ترجمة سعيد بنكراد ، ضمن كتاب طرائق السرد الأدبي دراسات ،منشورات إتحاد كتاب المغرب ،الرباط ،المغرب ، ط1 ،1992،ص 184 .

[2] - المرجع نفسه ، ص186/185 .

[3] - المرجع نفسه ،ص186

[4] - المرجع نفسه ،ص188/187.

الذوات لأن المواجهة تمثل اللحظة الحاسمة في الترسيمة السردية ، و المواجهة ذاتها يمكن أن تتم على شكل سجالي أو على شكل تصالحي ، فهي إما متجلية في معركة أو متجلية في تبادل » [5].

6- موضوع القيمة :

تتكون المواجهة التي تشكل أكبر رهانات النص السردي « من موضوعات قيمة مرغوب فيها من طرف قطبي الصراع على حد سواء ، و تختصر نتائج هذه التحويلات في انتقال المواضيع من ذات إلى أخرى، و المواجهة يمكن اختصارها من خلال نتائجها في صيغة تقنينية بسيطة :(ذ1 م ذ 2) و مفاد هذه الصيغة أنه بعد المواجهة أ و بعد الصفقة ستجد إحدى الذاتين نفسها بالضرورة في انفصال عن موضوع القيمة في حين يكون خصمها في اتصال معه » .

7- البرنامج السردي :

ميز داخله بين نوعين من الملفوظات هما :

1-ملفوظات الحالة :

نجد فيها ذوات الحالة و هي التي تكون مالكة للقيم من خلال موقعها من الموضوعات (اتصال أو انفصال) تمتلك مواصفات (صفات أو نعوت). تتحدد هذه الذوات من خلال علاقة الذات بالموضوع (ذ م ذ م) . و تشارك في صنع عوالم أخلاقية مختلفة .

2-ملفوظات الفعل:

إن ذات الفعل تقوم بعملية التحولات التي تقوم بين الحالات فالصيغة التالية :

(ذ م / ذ م).

يمكن قراءته كحالتين متتاليتين لذات ، فالذات على إثر تدخل ما تنتقل من حالة انفصال مع موضوعها إلى حالة الانفصال عنه . هذا التدخل لا يمكن فهمه إلا إذا سلمنا بوجود فعل محول تقوم به ذات فاعلة تستهدف ملفوظ حالة باعتباره موضوعا .إن ملفوظ الفعل هو إذن ملفوظ يحكم ملفوظ الحالة فإذا رمزنا بشكل إطنابي إلى ذات الفعل ذ1 و ذات الحالة ب ذ2 فإننا سنكون أمام الشكل الآتي : [6]

فعل محول (ذ1 ذ2 م)

---

[5] - المرجع السابق،ص188/189.

[6] - المرجع نفسه ،ص191.

أو فعل محول (ذ1 ذ2+م) موضوع القيمة .يمكن أن تكون هذه القيم نفعية كما يمكن أن تكون إدراكية .

و قد ميز "غريماس" بين نوعين من البرامج السردية :

أ- البرنامج السردي القاعدي :

هو أساسي لتعيين الانجازات المستهدفة لتحقيق تحويل رئيسي في العلاقة الحالية بين الفاعل والموضوع .

ب- البرنامج السردي للاستعمال :

هو وسيلة أو ذريعة مدرجا ضمن البرنامج الأساسي لذلك فهو يعد برنامجا ثانويا يحقق إنجازا فرعيا ... قد يتم إنجازه من قبل الفاعل نفسه أو فاعل آخر يقوم محله و ينوب عنه لذلك وجب تسميته بالبرنامج السردي الملحق .

و يعد البرنامج السردي القاعدي بمثابة متن الحكاية و أصلها أو بمعنى آخر الفكرة الأساسية في الحكي الذي قد يحتوي على حكاية أخرى متضمنة في المتن ، و تعد هذه الحكاية الأخرى كبرنامج سردي ملحق يعمل بطريقة أو بأخرى على دفع و تحريك البرنامج السردي القاعدي .

عندما نباشر قراءة نـص سردي-بمنظور غريماس- فإن الأفعال تكون مـرتبة حسب ثلاث لحظات أساسية هي: [7]

1- الإضمار :

و يشمل إرادة القيام بالفعل و وجوب القيام به ،و تكون هاتان الجهتان (إرادة ،وجوب) تكونان مضمرتان و مستترتان يمكن أن تظهرا أو لا تظهرا .

2- التحيين :

و فيها يتحقق ظهور جهات الإضمار في شكل معرفة الفعل و القدرة على الفعل مما يجعلان معرفة الفعل و القدرة على الفعل الفاعل مؤهلا لأداء الفعل .

---

[7] -سعيد بن كراد ، مدخل إلى السيميائيات السردية ، ص56 إلى ص65.

3- النتيجة :

و هي الوظيفة التي تغلق سيرورة الأحداث بالوصول أو عدم الوصول إلى نتيجة معينة أي فيها يتحقق الفعل .

توجد أربع مراحل يمر بها البرنامج السردي باعتباره النقطة المركزية لكل تحليل سردي، و هي :

1- التحريك :

هو الحلقة الأولى في البرنامج السردي ، من خلاله يدفع بالفاعل الذي هو في موقع مرسل إليه إلى تحريك الفعل من أجل الحصول على موضوع القيمة .

2- الكفاءة :

هي ذلك الشيء الذي يدفع الفاعل إلى أداء فعل ما و قد تم تحديدها في أربع صيغ هي : إرادة الفعل – وجوب الفعل –معرفة الفعل – القدرة على الفعل .و تسمى هذه الصيغ بجهات المعرفة الأربع .إثنتان منها تسمى بالجهات المضمرة :و هي إرادة الفعل و وجوبه. و هي مؤسسة للفعل . و إثنان تسمى بجهات محينة ، و هي : معرفة الفعل و القدرة عليه و هي مؤهلة للفعل .

3- الأداء :

هو مرحلة ثانية تلي الكفاءة فيه يتحقق الفعل الذي كان يسعى الفاعل إليه من خلال البرامج السردي الذي قام به ،و هو يرتبط بالجهة المحينة القدرة على الفعل فمتى امتلكت الذات هذه الجهة قامت ببرنامج سردي يتبلور في الأداء الذي يحقق لهذه الذات هدفها باتصالها بموضوع القيمة .

4- التقويم أو الجزاء :

هو ذلك الجزء من الحدث الذي تقوم فيه الذات بالنجاح أو الفشل في تنفيذ الفعل و تكافؤ (بعدل) أو تعاقب (دون عدل) من المرسل ،و هو لا يكون خاصا بالفاعل فقط و إنما بعوامل آخرين كالمعارض مثلا ففي أغلب الأحيان يعاقب على فعله المعاكس بالفشل من طرف المرسل و يكافؤ بالنجاح و الثناء عليه من طرف المرسل دائما .

ليس من الضروري أن تجتمع هذه المراحل في النص السردي المعطى لأننا قد نجد بعضها ، و السبب يكمن في أن كل مرحلة تستدعي الأخرى منطقيا ،و هي في مجملها تشكل ما يسمى بالمقطوعة السردية و هذه المقطوعة خاضعة لمبدأ التدرج المحكم في الأحداث).

رأى "غريماس" مما سبق أن أية حكاية يوجد بها ثلاثة أنواع من الاختبار، هي :

1- الاختبار التأهيلي :

و هي مرحلة يكتسب فيها الفعال القدرة التي تؤهله لإنجاز عملي يحقق فيه مبتغاه أي ان الفاعل يكتسب خلال هذا الاختبار او المهمة الكفاءة و طاقة إنجاز الفعل .

2- الاختبار الرئيسي :

تجري الاحداث بين الفاعل و الفاعل المضاد حيث يكون الصراع في اشده و هو يفضي إلى نجاح الفاعل في تعويض الافتقار بتحقيق موضوع القيمة.

3- الاختبار التمجيدي :

فيها يقع التعرف على البطل و تقويم مساره طبقا للالتزام الذي أخذه على نفسه أي عندما يكون البطل حقيقي يكافأ بما يستحقه و غذا كان بطلا مزيفا سلط عليه العقاب .

8- أهلية الذات :كيف تتحدد ذات الحالة ؟

يبدو بديهيا القول بأن الذات لا تستطيع تحقيق إنجاز ما إلا إذا توفرت مسبقا على المؤهلات الضرورية لذلك هذا الافتراض المنطقي يشكل أساس مكون المسار السردي الذي يسبق الإنجاز يقول غريماس : « الأهلية هي ما يدفع للوجود ، و لهذا يجب إدراكها ضمن الوجود و ليس ضمن الفعل ، و تبعا لذلك فإن ما يمكن الانطلاق منه هو بنية ملفوظ الحالة كما أن الذات المؤهلة يجب أن تحدد كذات حالة انطلاقا من المواصفات التأهيلية التي في حوزتها .

أ-على الذات المؤهلة أن تتوفر على برنامج سردي ، و أن تتمكن من تحقيقه .

ب-كما أن الذات المؤهلة لا بد لها من جهة أخرى أن تحمل علامات تشير إلى أمكانية تحقيق البرنامج السردي و هذا يعني امتلاكها لمجموعة من الموجهات هي : إرادة او واجب و قدرة أو معرفة الفعل. و كذات حالة عليها أن تكون في اتصال مع موضوع محمل بمجموعة من القيم الاستعمالية .

ذ م (الرغبة /الواجب + القدرة /المعرفة) . أما فيما يتعلق بالموضوع لاستعمالي فإنه يتشكل من مجموعة من التحديدات السابقة للفعل أي الخصائص التي يجب أن تتوفر في الفعل قبل أن يصبح فعلا حقيقيا و عندما تدخل الذات المؤهلة في اتصال مع هذا الموضوع فإنها ستبدو كمالكة لفعل تحييني و كذات سيميائية بالقوة .» [8] .

و ليست الأهلية دائما إيجابية فقد تكون إيجابية كما يمكن أن تكون سلبية تماما كالإنجاز يمكن أن يتم . و يمكن أن ينتهي بالفشل .

-وجود الذات المؤهلة يفترض مشكلة تكون الأهلية ذاتها .

---

[8] - المرجع السابق، ص 193 /194 .

يتكون الخطاب السردي عند غريماس من مستويين كبيرين ،هما:

1- المكون السردي : و يتألف بدوره من:

أ- مستوى عميق :

يتمثل في العمليات التحويلية التي تؤدي إلى وصل أو فصل الذات عن الموضوع. ويجعل هذا المستوى ممثلا لبنية الصراع التي يؤكدها النموذج العاملي بعناصره الستة.و يقوم مفهومه على العامل الذي حل محل مصطلح الشخصية .فمن المعروف أن غريماس استبدل مصطلح الشخصية بالعامل في السيميائيات السردية ،لأنه رأى أن العامل لا ينطبق على الإنسان فقط بل يتعداه إلى الحيوانات و الأشياء ، و حتى التصورات على عكس مصطلح الشخصية الذي يلتبس مفهومه عند التطرق إلى قضية الجنس (إنسان، حيوان). و قد اقترح عوضا عن مصطلح الشخصية مصطلحين هما :

أ- العوامل :

يُرجع "غريماس" العامل إلى بعض التصورات الخاصة بالتركيب مثل تصور تسنيير (tesniere) ، وهي أي هذه التصورات تقوم على تمفصل الملفوظ البسيط - الذي يتكون من عناصر مثل الفاعل و الموضوع المحمول إلى وظائف .و ميز "غريماس" داخل خطاب متلفظ به بين نوعين من العوامل، هي :

1- عوامل التواصل : وهي خاصة بالكلام المتلفظ به وهي :الراوي و المروي له و المتكلم المخاطَب.

2- عوامل السرد : وهي الفاعل ، الموضوع / و المرسل و المرسل إليه .

و ميز على المستوى النحوي داخل هذا النوع بين العوامل التركيبية وهي تلك المسجلة في برنامج سردي مثل فاعل الحالة و فاعل منجز و بين العوامل الوظيفية ،وهي تلك العوامل التي تشكل الأدوار العاملية لمسار سردي معرف ويمثل هذان النوعان بعدي عوامل السرد .

و أما على مستوى السيميائيات السردية يكون العامل إما فردا أو ثنائيا أو جمعيا ،وكل عامل من هذه العوامل قابل للتمفصل على الأقل إلى أربع وضعيات عاملية (actant-antactant,negactant-negantactant) .و عند تمفصله يصبح العامل يسمى بـ protatoactant ويتحول إلى مجموعة عاملية.(9)

---

9 - Algirdas julien Griemas et Joseph courtes ، sémiotique dictionnaire raisonne de la théorie du language ،hachette livre ،paris ،France ،1993 ،p03.

والملاحظ على العامل أنه قابل لأن ينهض بعدد من الأدوار العاملية تعرف هذه الأدوار بموضعها في سلسلة السرد المنطقية أو بمساهمتها الصيغية .

ب- الممثل :

هو «وحدة تركيبية من النوع الاسمي مضمنة في الخطاب و قابلة في لحظة ظهورها لتسلم الاستثمارات الخاصة بالتركيب السردي ،ومحتواه الدلالي يتكون داخل الحضور لمعنم تفردي . ويمكن أن يكون الممثل فردا (بيار)أو جماعيا (الجنون) أو تصويريا ، أو اسما تصويريا (القدر) ،وهو نقطة التقاء واستثمار لأثنين من المكونات التركيبة والدلالية ،ولكي نقول ممثل يجب ان يكون اللكسيم حامل على الأقل لدور عاملي ،و على الأقل لدور غرضي أضف إلى ذلك ان الممثل ليس فقط مكان استثمار لهذه الأدوار، ولكن هو أيضا نقطة هامة لتحولاتها ،و يتكون الخطاب بالنظر إلى ذلك من الكسب والنقصان في القيمة » [10] .

والممثل –كالعامل- قابل هو الآخر لأن يؤدي مجموعة من الأدوار الغرضية المختلفة، وهو قابل، أيضا للتشخيص من خلال سمة الملفوظ التركيبية والدلالية.ليصبح مفهوم الشخصية دالا على فرد فاعل يؤدي دورا ما في التلفظ.

ما يمكن ملاحظته على الشخصية في اصطلاح "قريماص" أنها استبدلت بمصطلحي العامل و الممثل والعامل هو الوظيفة حسب تعبير "بروب" ،و هو بؤرة توتر الملفوظ السردي ، فمنه تتحقق العملية التواصلية بطرق متعددة ، أي وفق علاقة العامل الواحد بمجموع العوامل الأخرى ،أي أن الملفوظ السردي يتكون أساسا من مجموع هذه العلاقات و قد أخذها "غريماس" من دوائر فعل الشخصية عند "بروب" و قد استخلص منها ثلاثة أنماط من العلاقات هي :

1- علاقة الرغبة :

متمحورة حول موضوع القيمة الذي يسعى الفاعل إلى امتلاكه أ: و (تقوم هذه العلاقة بين الذات (من يرغب) و بين الموضوع (ما هو مرغوب فيه) ،و في هذه العلاقة تظهر ذات يسميها غريماس ذات الحالة .

2- علاقة التواصل :

و تدور بين المرسل و المرسل إليه .و يكون في هذه العلاقة المرسل هو الحافز و المحرك و المؤثر فهو الذي يجعل الذات ترغب في شيء ما. وأما المرسل إليه فهو الذي يعترف بأنها قامت بالمهمة.

3- علاقة الصراع :

[10] - Ibid،p3/4.

تتمحور حول عاملين أساسين هما: المساعد و المعارض ،يساعد الأول الفاعل للوصول إلى موضوع القيمة . بينما يعترض الثاني على أفعاله لمنعه من تحقيق وصلة مع موضوع القيمة.

نظام النموذج العاملي :

يتمحور حول موضوع القيمة الذي يسعى الفاعل لامتلاكه .،و يتكون من ست عوامل.و نوضحه في هذا الرسم البياني :

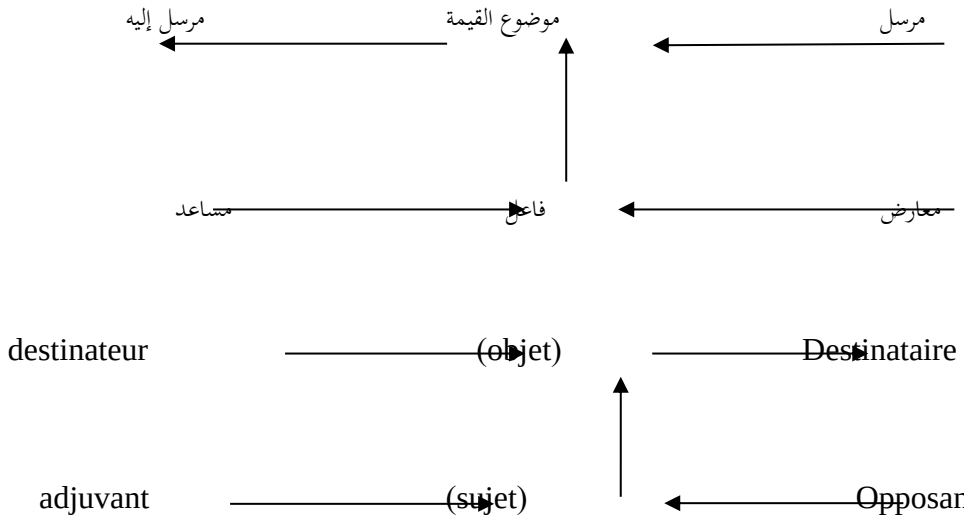

يخضع النموذج العاملي لنظام التقابلات التي تشكل ثلاث مجموعات، و هي (المرسل و المرسل إليه) ، و (الفاعل و الموضوع) ، و (المساعد و المعارض) .

1- الفاعل و الموضوع :

هذه العلاقة مركز النموذج العاملي فهي ، و العلاقة بين الفاعل و الموضوع هي التي تحدد على التوالي علاقتا الاتصال أو الانفصال .

2- المرسل و المرسل إليه :

يعتبر المرسل مصدر القرارات بالنسبة للمرسل إليه ، فهو يوجه له الأوامر التي غالبا ما ينصاع لها الثاني.

3- المساعد و المعارض :

هما قوتان موجهتان بالنسبة للفاعل ، فالمساعد يقدم له العون. بينما المعارض يضع العراقيل حتى لا يصل لمراده .

ب- مستوى أعمق :

يتمثل في شكلنة المعنى و الذي يظهر من خلال المربع السيميائي الذي يمثل الجانب الشكلي للمعنى ، بناه غريماس من فكرة المقابلة التي وجدها عند دي سوسير.و هذا شكله :[11]

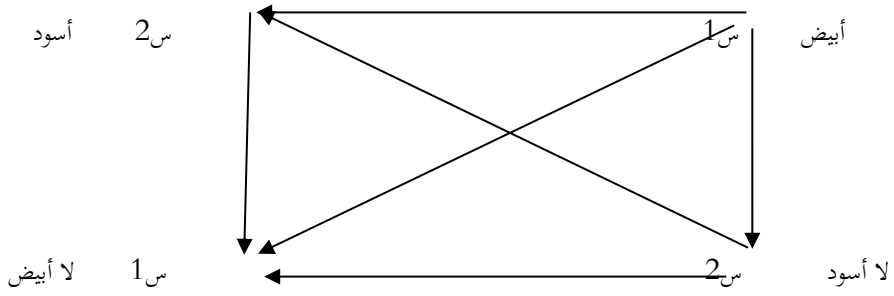

لهذا الشكل القدرة على التحكم في المعنى و على توليد سلسلة من العلاقات الداخلية ، أي وحدة معنوية تجعل منها كون دلالي صغير. و هو مؤسس على علاقات منطقية ، و هي :

علاقة ضدية .....أبيض (م) أسود

علاقة تناقضية .....أبيض (م)لا أبيض

أسود(م) لا أسود

علاقة اقتضائية.....لا أبيض(م) أسود

لا أسود(م) أبيض

2- المكون الخطابي :

[11] - ينظر سعيد بن كراد، مدخل إلى السيمائيات السردية،ص34 .

يتم الانتقال في هذا المستوى من المكون التركيبي إلى المكون الدلالي للبنية السردية ، وهو يتألف من الدلالة الخطابية و التركيب الخطابي .يتم التطرق في الدلالة الخطابية إلى مستوى التيمة و مستوى الصورة .أما في التركيب الخطابي فيتتم دراسة الممثل و التفضيء و التزمين.[12].

إن الحديث عن غريماس ليس سهل المأخذ ،فالأمر يتعلق بمؤسس مدرسة باريس السيمائية و بطرقها في التعامل مع الخطاب السردي ، و لغريماس الذي هو واحد من روادها تصوره المعرفي الخاص و أدواته المنهجية و الإجرائية ، التي تتطلب ركاما معرفيا كبيرا ، بمقتضاه تجاوز حدود دراسة الجملة إلى الخطاب ، ما جعل السرديات تخرج من إطار الأدبي إلى غير الأدبي دون التفريط في مبدأ المحايثة التي تجعل الدارس باحثا دوما عن القواعد الداخلية المنتجة لدلالة النص.

مما سبق يمكن القول إن نظرية "غريماس" التي غايتها « مطاردة المعنى و ترويضه و رده إلى العناصر التي أنتجته»[13] تتميز بالشمولية و قدرتها على استيعاب عناصر شتى تنتمي إلى نظريات سردية أخرى ، و لعل السبب يرجع إلى غناها المعرفي الذي جعلها محط أنظار العديد من الدارسين.

د– كلود بريمون :

تبرز جهود "كلود بريمون " Claud Bremon و إسهاماته النقدية في النظرية السردية من خلال كتابة الموسوم بـ "منطق الحكي " الذي ألفه سنة 1970، ففيه بين المعالم الكبرى لدراسة السرد من منظوره كما حدد فيه المنطلقات الأساسية التي وجهته.

و ينطلق "بريمون" في هذه الدراسة من جهود غيره ،فيستفيد بصورة خاصة من دراسة "فلادمير بروب" عن المنهج المورفولوجي،كما يستفيد من علوم أخرى كاللسانيات و الأنثروبولوجيا و المنطق .

انطلق هذا الناقد من مورفولوجية الحكاية و نظرية الأحداث ،متجاوزا النظرة اللسانية إلى علم المنطق ، فقد رفض نحو الديكاميرون كما قدمه طودروف ، لأنه يعتبر« المحكي خطابا يتشكل من أحداث ، و أن هذه الأحداث لا تصبح مفهومة إلا بواسطة المحكي ،و عنده أن النحو العالمي للمحكي لا يمكن أن يكون سوى نظرية عالمية للأحداث ، و أن نظرة عالمية للأحداث لا يمكن أن تكون سوى نحو للمحكي»[14].

و قد اعتمد في فهمه للمحكي على بروب حين جعل الحكاية تقوم على حدث واحد .فمن المنطق أن تكون كذلك، فوظيفة المنع مثلا تتبعها وظيفة خرق المنع ، ووظيفة مغادرة تتبعها وظيفة العودة ،و هكذا دواليك

---

[2]– ينظر المرجع نفسه ، ص78.

[1]– سعيد بن كراد ، مدخل إلى السيمائيات السردية ،منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط2 ،2003، ص07.

[2]– الطاهر روابنية ،سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد ،مقاربة نصانية نظرية تطبيقية في آليات المحكي الروائي ،مخطوط رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة الجزائر ، 2000/1999.ص128.

،فهناك منطق يحكم الوظائف .و أما الوظيفة من منظوره هي " الدلالة التي يحملها حدث في علاقته بقصدية بحيث لا تظهر بؤرة القصدية المحايثة للعقدة إلا من خلال حصول الذات على خصائص الشخص[15] .

يصبح للشخصية دورا محوريا في القصة سواء كانت فاعلة أم مفعول بها ، و لما كان عمل "بروب" منحصرا أساسا في ما تقوم به الشخصية من أفعال فإن عنايته به كانت كبيرة في كتابه سابق الذكر ، فقد جعل القسم الأول منه لدراسة كتابه مورفولوجية الحكاية الخرافية لذا اعتبره البعض من « النقاد الفرنسيين الذين استخدموا نظراته النافذة أساسا لنظريات أشمل»[(16)].

أما القسم الثاني فقد تناول فيه دراسة الأدوار السردية الرئيسية التي اعتبرها أساس حبكة الحكي .

طرح "بريمون" في كتابه "منطق الحكي" سؤالا جوهريا فحواه .ما هي الإمكانات المنطقية المتاحة لراو ما تمكنه من إنهاء قصة كان قد بدأها ؟كانت إجابة "بريمون "كما يلي :[(17)]

-المنهج الذي اتبعه بروب في دراسة الحكاية الخرافية يمكن تطبيقه على جميع أنواع الحكي مهما تعددت أشكاله لأنها ؛أي هذه الأنواع تحتوي على القوانين نفسها .

-إن متتالية الوظائف في الحكايات العجيبة الروسية هي دائما متماثلة .

-إن كل الحكايات الخرافية إذا نظر إليها من حيث بنياتها فإنها تنتمي إلى نمط واحد.

لقد رأى "بريمون" أن هناك أنواعا من الحكي لا تخضع لنموذج بروب البسيط و هذا لوجود تعدد في مسارات هذه الأنواع ،الأمر الذي يسمح للراوي فيها بأن يختار مسارا ما من بين مجموعة من المسارات .لذلك رأى "بريمون" أن أكبر خلل في تركيبة "بروب" هو خضوع متتالية الوظائف عنده للترتيب الزمني و المنطقي ، ما جعلها تتبع مسارا واحدا في حين أن لها مسارات أخرى عديدة « فوظيفة الصراع (lutte) مثلا تلحق بها بالضرورة وظيفة النصر (victoire) أما إذا حدث و انتهى الأمر بالبطل إلى الهزيمة فإن «بروب لا يسجل الوظيفة الأولى و إنما يغيرها بوظيفة ، و هي الإساءة (mefait) .يعتقد "بريمون" أن النصر ليس إلا احتمالا واحدا من الاحتمالات الممكنة و هي (الهزيمة —النصر و الهزيمة —لا نصر و لا هزيمة) و كلها تلغى من حساب بروب»[18].

اعتبر "بريمون" —عند اهتمامه بوظائف "بروب"- أن كل ثلاث وظائف تشكل متتالية حكائية .كما تحتوي كل متتالية على ثلاث مراحل منطقية ؛ بمعنى أن كل مرحلة تنشأ بناء على المرحلة التي سبقتها ،وكل مرحلة لها احتمالان ،و هي :[(19)]

---

[15] – المرجع نفسه ، ص178.

[16] – والاس مارتن ، نظريات السرد الحديثة ترجمة حياة جاسم ، ص122.

[17] – حميد لحميداني ،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص39/38.

[18] – المرجع نفسه، ص39.

[19] – المرجع نفسه ، ص41/40.

1-وضعية تفتح إمكانية سلوك ما أو حدث ما .(تفتح إمكانية حصول الفعل /أولا تفتح إمكانية حصول الفعل .)

2-الانتقال إلى بداية الفعل بالنسبة لتلك الإمكانية .(تحقق الإمكانية /أولا تحقق الإمكانية)

3-نهاية الحدث الذي يغلق مسار المتتالية إما بالنجاح أو الفشل .(تحقق النتيجة /أو لا تحقق النتيجة).

كما رأى أن أحداث الحكي أو المتواليات الكبرى منه تخضع لنمطين هما : التحسين و الانحطاط .و لكل منهما احتمالان أيضا .(تحسين محصل عليه /تحسين غير محصل عليه –انحطاط حاصل /انحطاط متحاشى).

و يمكن أن لا يتحقق مسارا التحسين و الانحطاط ، و في هذه الحالة قد يحصل تداخل بين مسارين متعارضين .

و الملاحظ هنا أن مفهوم مسارا التحسين و الانحطاط عند "بريمون" يتداخل مع مفهوم البرنامج السردي عند "غريماس".كما يقترب حديثه عن الاحتمالات و العلاقات المنطقية من مفهومه لذاتي الحالة و الإنجاز .

عندما تساءل بريمون عن مختلف الإمكانات التي تحدث للشخصية وجدها تمر عبر مجموعة من المراحل – كما رأينا-، و قد قدم من خلالها نموذجه العاملي الذي يتألف من ستة عوامل شبيهة بعوامل غريماس و دوائر فعل الشخصية عند بروب ، و لم يبتعد مفهومه له كثيرا عن المنظومة الاصطلاحية و المفهومية لكل منهما ،و هذا هو نموذجه :

1-المنفعل .patient

2-الفاعل .agent

3-محرض.influenceur

4-حاميprotecteur

5-محبط.frustrateur

-محبط.frustrateur

6-محصل الاستحقاق.acquereur

سعى "بريمون" -بهذا التصور- تأسيس نظرية متكاملة تتلاءم مع الأنواع الأدبية كالرواية و القصة و المسرحية و الفيلم السنمائي ، و لقد أفضى له نموذج "بروب" بنظرة مختلفة تماما ، ترى -على خلافه -أن بنية الحكاية شديدة التعقيد و لها أدوارا سردية كثيرة غير تلك التي حددها في الحكاية الخرافية ، و هي تبرز خاصة في نوع الرواية .لذلك رأى أن أكبر نقص في دراسة "بروب" يكمن في إهماله للعلاقة بين الفعل و الشخصية ، فهذه الأخيرة هي المادة الجوهرية للقصة التي ينعدم وجودها دون شخصية .

و هكذا اعتبر "بريمون" بنية الحكي « شديدة التعقيد و قابلة على الدوام لعدد معين من الاحتمالات في مسارها تكونها»[20].و هذا على عكس "بروب" الذي تميز تحليله بكونه بسيطا لا يمكن تطبيقه على أنواع أخرى . و السبب يعود بنظره لاعتماد "بروب" على نظام الخطية الأحادي فهو الذي قلل من التنويع السردي .لذلك رفض بريمون—من هذا الزاوية – الترتيب الزمني و المنطقي الذي اعتمده "بروب" عندما صنف الوظائف ، فالجانب المهم هو « الابتعاد عن التطور الخطي الذي رسمه بروب للحكي ، فبريمون يضع احتمالات تدل على أن تطور الحكي لا يمضي دائما في شكل أحادي الخط ، فقد يحصل التداخل بين مسارين مختلفين»[21].نتيجة لتلك الخطية التي اعتمدها بروب اختار هذا الناقد لدراسته الأشكال السردية البسيطة حتى يتمكن من بناء متواليات و أدوار و مواقف ، ثم حاول بعد ذلك أن يدرس الأشكال السردية الأكثر تعقيدا مثل : الرواية ، فاقترح خريطة المسارات السردية « التي تكون بناها الأساسية دائما متجانسة ، لكنها تتنوع تنوعا لا نهائيا للسلوكات الانسانية و ذلك بحسب لعبة التأليف و الثقافات و العصور و الأنواع و المدار و الأساليب الشخصية»[22].

حاول "كلود بريمون " تطوير السرديات بالاستناد إلى الركام المعرفي الذي كان سائدا في عصره .و كان هدفه محاولة الكشف عن القواعد الصارمة التي تحكم منطق الحكي.

و نتيجة ما سبق هي تطور الدارسات السردية مع تطور النظريات الأدبية ، و الواقع النقدي يقر بتجاوز الدراسات السردية لمرحلة ما بعد البنوية ، فقد ظهرت في ثمانينات و تسعينات القرن الماضي مقاربات جديدة كالدراسات النسوية و الدراسات الثقافية و التحليل النفسي و علم الاجتماع و نظريات التلقي ،و قد أسهمت في تغيير مسار الدراسات السردية بفتحها لمجالات جديدة لم تنعدم علاقتها بالدراسات اللسانية السابقة عليها ذات التوجه الشعري البنوي و التأويلي و الجدلي و الذي امتد إلى الأسلوبية و السيمائية .و كانت نتيجة ذلك تجاوز الدراسات السردية للنطاق الضيق للنموذج العلمي (اللساني) بعدما رأى الدارسون «استحالة الوصول إلى معرفة علمية بالنصوص الأدبية و أن فكرة العلمية ما هي إلا حكاية أخرى من الحكايات»[23].و قد اتسع مجال الدراسة نتيجة ذلك ليصبح اهتمام الدراسات السردية بما هو خارج الأدب كالتاريخ و الفلسفة و الصحافة و الدين .

وقد لوحظ أن السردية قد ابتعدت كثيرا عن جذورها الأدبية المنحدرة منها ،أي ابتعادها عن الشعرية بسبب اتساع مجالات اهتمامها ،وقد تحولت « بذلك من اختصاص جزئي إلى اختصاص كلي أو عام ، إنها من جهة خاصة عندما تكون تبحث في سردية الخطاب الأدبي ، وتصبح من جهة ثانية عامة ، بتجاوزها السردية الأدبية إلى السردية غير الأدبية » [24]. ولعل مرد هذا الاتساع الذي شاب هذا الميدان المعرفي ، هو شمولية السرد وطبيعته

---

[20] – المرجع السابق،ص40.

[21] – السيد الإمام ، مدخل إلى نظرية الحكي ضمن كتاب أبحاث السرد الجديد ،مؤتمر أدباء مصر ،2008.

[22] – الطاهر روابنية ،سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد ،مقاربة نصانية نظرية تطبيقية في آليات المحكي الروائي، ص55.

[23] – السيد الإمام ، مدخل إلى نظرية الحكي.

[24] – سعيد يقطين ،: الكلام و الخبر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ،1997 ،ص23.

الخاصة من جهة ، وخصوصية الخطابات من جهة أخرى، و لقد أفضى ذلك لظهور اتجاهات –كما ذكرنا– اختلفت نظرتها لدراسة الفضاء السردي باختلاف مرجعياتها الفكرية.